فأول ما يتطلبه السلام هو الرغبة في تحقيقه، انطلاقاً من الاحساس بالحاجة الى الانتماء الى المحيط الاقليمي، والتعايش معه بصورة ايجابية، وهو ما تفتقر اليه التجربة الاسرائيلية. فمنذ البداية، تصوّر هرتسل ان دولة اليهود ستكون «حصن الحضارة في وجه الهمجية»، مصادراً، بذلك، فكرة الانفتاح على المحيط، أو التعايش معه. وفي مطلع الستينات، حدّد بن ـ غوريون انتماء اسرائيل، عندما قال: «ان اسرائيل هي جزء من الشرق الأوسط، من حيث العامل الجغرافي فقط، وهو، في جوهره، عامل جامد؛ أمّا من حيث العوامل المصيرية الحاسمة، مثل الطاقات الحركية والابداعية والانمائية، فان اسرائيل جزء من اليهودية العالمية. ومن هذه اليهودية العالمية، تستمد اسرائيل بأسها، ووسائل صياغة الأمة وتطورها. بقوة اليهودية العالمية ايّاها، سوف نبني اسرائيل مراراً وتكراراً»(٥٨).

أمّا شكل العلاقة مع المحيط، فقد أشار اليه وزير الخارجية الاسرائيلية الأسبق، أبا ايبن، عندما قال: «ان أمل اسرائيل هو في ان تصبح الولايات المتحدة الصغرى. نحن لا نريد ان تكون لنا علاقات مع الشرق الأوسط، على غرار العلاقات القائمة بين سوريا ولبنان؛ ولكننا نريدها على غرار علاقات الولايات المتحدة الاميركية مع بلدان اميركا اللاتينية، من حيث التعامل الاقتصادي، مع ملاحظة الفوارق التاريخية، والثقافية، واللغوية. ونريد، أيضاً، المحافظة على طابعنا الغربي»(٥٩).

ولا شك في ان هذه الرؤية، التي تقوم على رفض المحيط والاستعلاء عليه، لا يمكن لها ان تشكل حافزاً لصنع السلام، أو التعايش البنّاء مع المحيط العربي. وقد أدت النجاحات المتتالية لاسرائيل، في مجال اختبار القوة، الى تنامي الثقة بالقوة الذاتية، الى حد الاستغناء عن فكرة التصالح مع المحيط. وصور الكاتب الاسرائيلي، توم سيغف، رؤية الحكومة الاسرائيلية الأولى الى السلام مع العرب في العام ١٩٤٩، فكتب: «... وما لبثت ان تبلورت مدرسة فكرية في وزارة الخارجية، اعتقدت بأن السلام غير مجد. وروى وزير الخارجية، شاريت، لأعضاء كتلة مباي في الكنيست، ان ثمة اشخاصاً في أسرة وزارة الخارجية يتمتعون بتفكير أصيل، وهم يساهمون، مساهمة مهمة، في تكوين التفكير الجماعي في الوزارة، ويميلون الى الاكتفاء باتفاقيات الهدنة»(٦٠).

وترى غالبية الاسرائيليين، اليوم، ان السلام ليس ضرورياً. فما دامت اسرائيل تملك من القوة ما يحقق لها الأمن والاحتفاظ بمكاسب الحروب السابقة، فان السلام يبدو نوعاً من الترف السياسي، الذي لا يستحق دفع أي ثمن مقابل تحقيقه، وخاصة عندما يكون هذا الثمن يتضمّن الانسحاب من مناطق جغرافية واسعة، يعتبرها معظم الاسرائيليين جزءاً من «أرض الآباء والأجداد»، وضماناً للأمن. أما النخبة الاسرائيلية الحاكمة، فغالبيتها ترى، في السلام، عملية مكلفة، لا تتطلب فقط التخلي عن جزء من الأراضي المحتلة، بل وتمنع اكتمال المشروع الصهيوني، وتضرّ بالوظيفة المنوطة به لصالح الامبريالية، والتي يتعيّش عليها؛ كما تنطوي على احتمالات تفجر الصراعات الداخلية الكامنة داخل المجتمع الاسرائيلي.

وفي الحقيقة، فان قطاعاً واسعاً من الاسرائيليين يرفض السلام، لأنه لا يعرفه. فمنذ بداية الغزوة الاستيطانية الصهيونية لفلسطين وهي تعيش حالة صراع مستمر، بوتائر مختلفة، الى درجة ان حالة الصراع أصبحت هي الوضعية الطبيعية التي كيّف الاسرائيلي نفسيته وقدراته وفقها. وأصبح السلام، بالاضافة الى غموضه وغرابته، وضعية شاذة تتطلب تكيّفاً مغايراً. واذا كانت حالة الصراع خضعت للاختبار، وتمخضت عن نتائج ايجابية من المنظور الاسرائيلي، فان السلام يمثل وضعاً معاكساً، ينطوي على تنازل عن المكتسبات التي تحققت من خلال الصراع. وقدم الكاتب